

التربية الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (١٢) :ليلة القدر - العيد - ما بعد العيد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٠-٤-٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، و زدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تقديم :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في ذهني أن في هذا الدرس موضوعات عدة يجب أن تعالج :

الموضوع الأول : موضوع ليلة القدر .

الموضوع الثاني : موضوع العيد .

الموضوع الثالث : موضوع ما بعد رمضان .

ليلة القدر :

أما الموضوع الأول فقد يحمل الناس عن هذه الليلة تصورات بعيدة عن الحقيقة ، فربنا سبحانه وتعالى يقول :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

وكلمة القدر مشروحة في آية أخرى ، حيث قال الله عز وجل :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ)

[سورة الأنعام الآية : ٩١]

إذا الإنسان مطالب بمصلحته ، أن يعرف الله عز وجل ، فائي جهد و أي نشاط و أي طاقة وأي وقت و أي عمل لا يصب في معرفة الله عز وجل فهو جهد ضائع و عمل فاشل ، و وقت خاسر ، هكذا ، قال تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ)

[سورة الأنعام الآية : ٩١]

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

قلت البارحة في إحياء هذه الليلة بعيداً عن المعاني الدقيقة و التي جاءت في التفاسير لسوره القدر ، بعيداً ، كخواطر إذا قرأت هذه السورة بماذا تشعر ؟ لو أن هناك ليلة معينة ، على هذا التصور تساؤلات ، لأن الشهر العربي الهجري يختلف عن الشهر الميلادي ، إذاً عبر هذه السنوات الطويلة، وعبر مئات السنين جاء رمضان في الصيف و جاء في الشتاء ، وجاء في الربيع و جاء في الخريف ، ما من شهر إلا و جاء فيه رمضان ، إذاً هذه الليلة ربما انزلت في أيام السنة كلها ، فالقدسية نابعة من ليلة بالذات ، لا إطلاقاً ، ما يحمله بعض الناس من تصورات أن هناك ليلة معينة بالذات إذا وافقها الإنسان فقد سعد في الدنيا والآخرة ، هذا كلام بالغ به ، بل هو بعيد عن الحقيقة ، ما دام رمضان شهر هجري ، وأيام السنة الميلادية ، وهناك انزلاق مستمر ، طبعاً كل واحد منا ذاق رمضان في الصيف ، في شهر آب ، تشرين فيها رمضان ، حرب تشرين ، عشر رمضان ، تشرين إلى أيلول إلى آب إلى حزيران إلى مايو ، وهناك انزلاق مستمر ، إذاً ما من يوم من أيام السنة إلا و مرت فيه ليلة القدر ، إذاً قيمة هذه الليلة من تحديدها ؟ لا إطلاقاً ، من شيء آخر ، يبدو أن الإنسان إذا بلغ مستوى من المعرفة بالله عز وجل استحق من الله شيئاً ثميناً ، حالة حادة صارخة النبي عليه الصلاة والسلام .

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

أي حينما تعبد ربه في غار حراء ، و حينما كان يقضى الليالي ذوات العدد ، حينما عزف عن متع الحياة ، و حينما قال للغلمان في سنه : لم أخلق لهذا ، حينما اصرف إلى التفكير في خلق السماوات والأرض ، حينما ترتفعت نفسه عن وحل البشر ، عن حماقات قومه ، عن انحرافهم ، عن شهواتهم ، حينما عاش في أفق آخر ، حينما قدر ربه حق قدره استحق أن ينزل عليه القرآن على شكل مخفف ، على شكل ممدد ، على شكل مبسط ، إذا رأك الله عز وجل محبًا له ، تسعى لهداية خلقه ، إذا رأك عند الحلال والحرام ، إذا رأك تبذل كل طاقاتك في سبيل خدمة الخلق ، إذا رأي وقتك كله قد بعثه الله عز وجل ، إذا رأك محبًا للناس ، إذا رأك حريصًا على هدايتهم ، إذا رأيت خلقه كلهم عيال الله وأحسنت إليهم ، إذا كان همك الدار الآخرة ، إذا استيقظت والآخرة أكبر همك ، عندئذ تستحق أن يعطيك شيئاً ثميناً ، ما هو هذا الشيء ؟

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

و في الليلة التي تقدر فيها ربك حق قدره يتجلى الله على قلبك ، ما هذا التجلي ؟ والله ما أدرى ما هو ، ولكن أعرف نتائجه ، طبيعته مجهرولة ، من أسرار الله عز وجل ، أما نتائجه فهي واضحة ، تشعر براحة لا توصف ، تشعر بتوزن ، تشعر أنك أسعد الناس ولو كانت ظروفك المادية من أصعبها ، ولو كانت حياتك من أصعب حياة الناس ، ولو أن دخلك أقل من دخول الناس ، تشعر

بسعادة لأنك تشرفت بمعرفة الله عز وجل ، تشعر بحالة اسمها الغنى ، أحياناً تدعو إنساناً إلى الطعام ، و تظنه جائعاً ، لا شكراً ، تشعر أنه في غنى و ممتليء ، وقد يكون جائعاً و لكن نفسه أغلى عليه من أن يقول لك : إنني جائع ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لَيْسَ الْغَنِيُّ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغَنِيُّ عِنْ النَّفْسِ))

[رواه البخاري]

الشعور بالغنى هذا شيء لا يوصف ، قد يكون فقيراً ، قد يكون أجيراً ، قد يكون موظفاً بسيطاً ، ولكن في نفسه شعور بالغنى لو وزّع على أهل بلد لفهم ، و عند الكباء والأغنياء من الفقر ما لو وزّع على بلد لأشقائهم ، تجده حريصاً على الليمة و معه الآلاف الملايين ، يقاتل من أجلها ، و يخلف يميناً كاذباً من أجلها ، هذا فقير ، هذا إنسان في مستوى منخفض جداً ، فنتائج التجلي الإلهي من هذه النتائج رؤية صحيحة ، أي في الوقت الذي يتهاون الناس على المال الحرام يترفع المؤمن ، يرى ما في هذا المال من خراب و دمار ، ومن بعد عن الله عز وجل ، قد تمشي امرأة في مستوى رفيع من الجمال ، لو راقت معظم الناس عيونهم منعقدة و عليها ، أما المؤمن فتشعر أنه في غنى ، ليس عبداً لشهوته ، شهوته تحت قدمه ، الله أغلى عليه ، لذلك بعض النساء اللواتي حباهن الله بمستوى رفيع من الجمال لا يفاجئن إلا بموقف المؤمن ، ما هذه العفة؟! ما هذا الغنى؟ ما هذا الترفع؟ هذا من آثار تجلي الله عز وجل ، قد تكون أم ، مبلغ كبير من المال يحل كثيراً مشكلاتك دفعة واحدة ، ولكن في هذا المال شبهة ، فقرار سريع من دون صراع نفسي ، من دون سؤال و جواب ، من دون يا ليت ، من دون مشادة ، تحت قدمه هذا المال ، فلان تجلى الله على قلبه ، عنده عفة عن المطامع ، و عنده عفة عن المحارم ، عنده شعور بالغنى ، عنده شعور أن الله يحبه ، عنده رحمة اتجاه كل الخلائق ، ليس عنده تعصب و لا حقد ، و لا نظرة ضيقة ، فلان من جماعتنا ، من غير جماعتنا ، هذا عبد الله عز وجل ، فأنت إنسان وهو إنسان ، والله لا أدرى ما أقول لكم عن هذا التجلي ، لا أعرف كنهه ، ولكن أعرف نتائجه ، فأحياناً تلتقي مع إنسان فتراه في أدنى مستوى ، قد تكون له مرتبة اجتماعية عالية ، وقد يكون له مكانة كبيرة ، لكن إذا تكلم ، قال لي شخص : التقيت مع رجل بحسب مقاييس المجتمع ، و المجتمع له مقاييس ، له مقاييس المال ، و مقاييس العلم الدنوي طبعاً ، يحمل دكتوراه ، نوبل ، معه بورد ، معه أعلى الشهادات ، أو يتمتع بمركز قوي ، إما القوة ، و إما العلم و إما المال ، قال لي : كان يتحدث و قال : إذا الإنسان تقدمت به السن و زوجته متيبة ما هو المانع لو أنه تكون له عشيقه مثلاً ، أين هذا الإنسان من مبادئ الشرع ، هذا صار عدواً ، فتكلم كلمة سقط بها إلى الحضيض ، فالتجلي ، إنسان يعرف الله عز وجل ، منضبط ، إنسان ذو مبدأ ، مال الدنيا كله في كفة و مبدأه في كفة ، فإذا تناقض المال مع مبدأه ضحى به ، وهو مرتاح ، مثلاً ، وهذا مثل منتزع من الواقع ، قاضي أو طبيب شرعي جريمة ارتكبت و المقتول قتل ، و انتهى الأمر ، و الحكم لهذا القاضي ، إما أن يقول وفاة طبيعية أو تسمم ، عرض

عليه خمس ملايين ، يكتب فقط وفاة طبيعية ، و القاضي بيته بالأجرة ، و دخله لا يكفيه خمسة أيام، وليس عنده مرکبة ، وفي حاجة ماسة ، و المبلغ يحل به جميع مشاكله ، أعوذ بالله ، هذه جريمة ، هذا المؤمن ، إنسان من أجل مائة ليرة يبيع دينه ، مائة وليس خمس ملايين ، يبيع دينه كله ، فلما رربنا عز وجل يقول لك :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

معنى ذلك أنت لما تعرف الله عز وجل صارت نفسك مؤهلة لتلتقي ما يسمى بالتجلي الإلهي ، هذا التجلي ماذا سماه الله في آيات أخرى ، من يعرف ؟ رحمة ، نور ، روح ، جميل ، كله صحيح، سكينة .

(ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)

[سورة التوبه الآية : ٢٦]

هذه الطمأنينة و هذه الراحة النفسية ، فالقضية أعقد من أن تصلي ركعتين ، القضية أعقد من أن تصوم الأيام الثلاثين ، هذا عابد ، و العابد في مكانه ، حكيت البارحة مثلا و لا مانع من أن أعيده الآن ، دكتور من أعلى مستوى في الجامعة ، علامه عصره ، فريد بعلمه ، بحر ، له سمعة على مستوى الشرق الأوسط فرضا ، وفي هذه الكلية مستخدم جالس على هذا الباب ، كلما مرّ هذا الدكتور يقوم له ، أهلاً دكتور ، وكلما خرج يقوم له ويرحب به ، هذا المستخدم سنة ، سنتان ، ثلاثة ، خمسة ، عشرة ، ثلاثون سنة ، معرفته بهذا الدكتور لا تزيد ، كل ما يعرفه عنه أنه استاذ في هذه الكلية ، و الطالب يحبونه فقط ، أما هؤلاء الذين جلسوا معه في المحاضرات ، كلما ألقى عليهم محاضرة ارتفع في نفوسهم ، كلما ألقى محاضرة كبر حجمه عندهم ، فأنت لا ينبغي أن تكون لهذا المستخدم ، كن لهذا الطالب ، الطالب يزداد علمه ، فلو أنتا - وَلَهُ الْمُثْلُ الْأَعْلَى - لو إنسان عابد ، كلمة أنا أعرف سهلة ، لو أن إنساناً ركب طائرة من عمان إلى بيروت ، مباشرة ، وهذه الطائرة طارت فوق دمشق تماما ، و سئل أتعرف الشام ؟ يقول لك : أعرفها ، كلام صحيح ، رأها من الجو ، لو أنه هبط في المطار ساعة ثم تابع رحلته أتعرف الشام ؟ أعرفها ، رأى المطار و رأى البرج ، ورأى صوراً عن دمشق بيها المطاء ، رأى نوعاً من الزخرفة الشامية في قاعة الانتظار ، وقال : أنا أعرفها الشام ، وقد مررت بها ، وقفت في مطارها ساعة ، لو إنسان آخر انتقل إلى مركز المدينة ، إلى المرجة مثلا ، سوق الحميدية ، يعرفها ، إنسان عاش بها أسبوعين ، أطل إطلالة على الأحياء الشعبية وقصر العظم ، وعلى جبل قاسيون ، أيضاً يعرف الشام ، طيب و إنسان أقام شهراً ، و إنسان درس في الجامعة في دمشق ، ومكث أربع سنوات ، و أخذ بيته في حي فقير ، رأى العادات والتقاليد و الحمص يوم الجمعة صباحاً ، و التسوق مثلاً ، و العيد و الزينة و المعمول ، وفهم هذه الأشياء كلها ، وعلاقات الاجتماعية ، والجو المحافظ ، والشغل المحافظ

فريضاً، يقول لك : أنا عرفت كل التقاليد الشعبية ، وإذا كان الإنسان مولودا في الشام و عمره ثمانون سنة يقول لك : كان مدحت باشا أتى إلى الشام و جلس في المسجد الأموي ، قال : أنا خالع الملوك في زمامي ، و جلس عند الشيخ بدر الدين و قال له : أنا سأخلعك الآن ، بعث برقية للسلطان فأتى و خلعه بعد ساعة ، يعرف قصص الشام القديمة ، وهذا مثلاً خان أسعد باشا يعرف أصله ، وهذا منزل كيف بنوه ، وكيف أن بابا للوادي مثلاً ، كل هؤلاء يعرفون دمشق ، و شتان بين معرفة و أخرى ، هنا المرتبة ، أتعرف الله نعم ، ماذا تعرف عنه يقول لك : الله جل جلاله خالق الكون ، وقف ، كمّل ، هل هناك أوضح من هذا ؟ هناك إنسان يحكي عنه عشر ساعات ، عشرين ساعة و لا يقف ، فكلما ازدلت به معرفة ازدلت عنده رفعة ، فـ :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

في هذه الليلة ، فحينما تتعرف إلى الله عز وجل ، و الحقيقة معرفته لها خطان ؛ و لا أقول خط واحد ، هناك طريقان يوصلان إليه ؛ الطريق الأول طريق الكون ، لأن الكون من خلقه فإذا تأملت في الصنعة عرفت الصانع ، إذا تأملت في النظام عرفت المنظم ، إذا تأملت في الكون عرف المكون ، إذا تأملت في التسخير عرفت المسير ، ممكّن نجم كبير يقطع في العام ألف ألف الملايين من الكيلومترات و يصل إلى زاوية معينة في معشار الثانية ، و تضبط ساعة بيع بان عليه ، ممكّن ، سيارة مثلاً لو كان طريق حلب ليس فيه ولا مشكلة ، ليس فيه دخول إلى المدن و لا تقاطع ، و لا فيه إشكال ، تقدر أن تقول للسائق كم يلزمك من ساعة ؟ فيقول لك : يلزمني خمس ساعات ، يقدر هذا السائق يمشي على سرعة ثابتة و يصل بأعشار الثانية إلى حلب ، هذا فوق طاقة البشر ، سمعت أن هناك قطار في اليابان إذا كان التأخير بثلاث دقائق فما فوق يعطى للركاب تعويض ، من طوكيو إلى أوزاكا ، ستمائة كيلومتر ، إذا كان التأخير ثلاثة دقائق هناك تعويض ، فهذا نجم يدور ألف ألف الملايين ، دورة خلال سنة و يصل إلى زاوية رصد بأقل من واحد من المائة في الثانية ، لذلك ساعة بيع بان تتأخر في السنة بثلاث ثوان و النجم لا يتاخر ، تضبط عليه ، هذا تسخير من ؟ الله عز وجل ، فأنت تعرف المسير من التسخير ، و المنظم من التنظيم ، والمكون من التكوين ، و الخالق من الخلق ، و الصنعة من الصانع ، هذا طريق ، لا يكفي هذا الطريق ، طريق أمر الله ، كما أن الله سبحانه و تعالى تتجلى عظمته في خلقه تتجلى عظمته في أمره ، بالضبط خطان متوازيان ، بل إن معرفة أمر الله عز وجل له فائدة مزدوجة ، له فائدتان ، من جهة تعرف من خلاله عظمة الله عز وجل ، ومن جهة ثانية تعرف الأمر الذي ينبغي أن تفعله ، أنت تلقيت هاتفاً ثميناً جداً فيه ستون ذاكرة أوتوماتيك ، يعطيك على الشاشة رقم الخط ، إذا كانت مخابرة خارجية كم دقيقة بالضبط ، وهذا الهاتف أنت عرفت أن المصمم الذي صممّه من أعلى مستوى ، وهناك شيء ثانٌ أنه في خدمتك تستعمله و استفادت منه ، عظمت صانعه و استفدت منه ،

معرفة الله هذه تؤدي غرضين ؛ تعرف الله من خلال هذا الأمر ، وهو أمر أنت في أمس الحاجة إليه ، إدًا هذا خط وذاك خط ، خط معرفة الله من خلال الكون ، و خط معرفته من خلال الأمر و النهي ، إدًا هذه بعض الخواطر حول ليلة القدر .

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)

[سورة القدر الآية : ٢-١]

أنا أعجب فمثلاً سيدنا زيد الخير دخل على النبي عليه الصلاة و السلام وهو يخطب الجمعة ، فالنبي لفت نظره ، و كان له شكل جميل جدا ، و كان شهما ، كان صاحب مروءة ، جمع بين جمال الخلق و الخلق ، فدخل على النبي عليه الصلاة و السلام ، فلما انتهت الخطبة دعاه إلى البيت ، أول مرة يراه فيها ، قال له النبي : يا زيد عليه الصلاة و السلام : ما وصف لي رجل إلارأيته دون ما وصف إلا أنت يا زيد ، أنت أكثر ، وصفت لي و لكنك بدرجة أعلى مما وصفت لي ، النتيجة ليست هنا ، دعاه إلى البيت و قدم له وسادة ، قال زيد الخير : والله يا رسول الله لا أتكى في حضرتك ، لم يرض ، متى عرفه الرسول ؟ ما هذه السرعة ؟ هذا رقم قياسي ، متى عرف رسول الله ؟ في ساعة ، قال : والله لا أتكى في حضرتك ، وفي طريق العودة إلى قومه توفاه الله ، من أرقى الصحابة ، أعتقد ساعات ، تفضل ، و تجد واحداً ثمانون سنة و هو يصلّي و يصوم ، يحلف يميناً ذلك إذا جاءه ضيوف نساء ذهب و لصق بالباب ، ثمانون سنة وهو يصلّي و يصوم ، يحلف يميناً من أجل مائة ليرة كنبا ، وهو يصلّي و يصوم ، إذاً نحن نريد اللّب ، نريد جوهر الدين ، نريد هذا الدين الذي كان عليه أصحاب النبي ، هذا الذي نريد ، هذا الدين نريده من منبعه ، نريد اليقابع الأولى للدين ، نريد هؤلاء الصحابة الذين كانوا ألفاً أو يزيدون أو عشرة آلاف كيف فتحوا العالم ، ونحن ألف مليون و كلمتنا ليست علينا ، إدًا :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

[سورة القدر الآية : ٣-١]

من ألف شهر ، أي ثمانين سنة ، صوم و صلاة و حج و زكاة ، من دون معرفة الله عز وجل ، هذه لا شيء ، لكنك إذا عرفت الله عز وجل عرفت كل شيء :

(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا)

[سورة القدر الآية : ٤]

الملائكة تلهمك الصواب ، تجده موفقاً في عملك ، دائماً ملهم ، دائماً حركتك مسددة ، دائماً موفقاً ، دائماً يدرك خيراً ، دائماً كلامك سديد ، دائماً خواطرك طيبة ، دائماً عملك حكيم ، الملائكة و الروح فيها .." دائماً مسرور سعيد ،

(يَادُنْ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ)

[سورة القدر الآية : ٤]

كلما أردت أمراً جاءك الإلهام ، افعل يا عبد الله هكذا ، كلما أزمعت عملاً جاءك الإلهام افعل هكذا.

(من كُلَّ أَمْرٍ)

[سورة القدر الآية : ٤]

قال :

(سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

[سورة القدر الآية : ٥]

(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ)

[سورة هود الآية : ٥]

أي الفجر طلوع شمس الحقيقة ، هذا تعبير رمزي ، أي أنت في الدنيا مسدد سعيد إلى أن يأتي ملك الموت و تكشف عندها الحقائق ، أنت بهذه الليلة عرفت الحقيقة في الوقت المناسب ، عرفتها في الوقت المناسب ، عرفتها و لكن الكفار يعرفونها بعد فوات الأوان ، بعيدا عن التفسير الدقيق وعن خلاف المفسرين ، هذه خواطر ، أعجبني من بعض العلماء فسر القرآن و قال : خواطر إيمانية ، حتى لا يحاسب ، خواطر إيمانية ، أي :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدرِ)

[سورة القدر الآية : ١]

على هذا المعنى كل يوم عندك ليلة القدر ، الباب مفتوح في واحد شوال و اثنين شوال و خمس شوال ، و تشرين و كانون و شباط و آذار ، أنت الآن في الطريق إلى الله عز وجل ، بالغ في معرفته، جدد نفسك لخدمة خلقه ، وقررت قدرك لقراءة كتابه و لفهم كتابه ، أطلق لسانك بالدعوة إليه ، جند كل طاقاتك لخدمة خلقه ، عندئذ يشف الله لك عن عظمته شيئاً فشيئاً إلى أن تقع في حالة سماها بعضهم حالة الفداء ، أي تقني عن ذاتك في شهود جلال خالق ، هذه بعض المعاني غير المتنائية والعميقة ، بعض المعاني التي قد يفهمها الإنسان من سورة القدر .

العيد :

الشيء الثاني موضوع العيد ؛ أي أجمل تعريف للعيد مأخوذ من العودة ، النفس لا تأنس إلا بربها ، و لا تطمئن إلا بالقرب منه ، ولا تسعد إلا بالإقبال عليه ، وأنت و العيد في الإسلام من خصائصه أنه يأتي بعد عبادة ثمينة ، عيد الفطر بعد الصيام ، وعيد الأضحى بعد الحج ، هذا العيد دليل أنك في هذا الشهر عدت إلى الله عز وجل ، هذه العودة إلى الله عز وجل توجت بالفرحة ، سؤال دقيق ؟ لو فرضنا إنسانا دخل امتحانا مصيريا ، صفت خرج ، دكتوراه في الطب مثلا ، مهندس فرضا ، يا ترى فرحته بانتهاء الامتحان ، الامتحان شهر في الجامعة ، فرحته الحقيقة بانتهاء الامتحان أم بالنجاح في الامتحان ، بالنجاح ، الانتهاء حتى الراسب ينتهي امتحانه ، خلصنا الفحص ، اليوم آخر يوم أستاذ ، خلصنا ، وهو خاسر ، وإذا كان خلص الامتحان ، ففرحة الطالب ليست في انتهاء الامتحان ، لا فرحته في نجاحه في الامتحان ، فمن نجح في هذا الامتحان في هذه الأيام الثلاثين ،

نجح فعلاً فرحته في العيد حقيقة ، الله عز وجل أكرمه و صام ثلاثة أيام ، و قام ثلاثة أيام و شهد الفجر في جماعة ثلاثة أيام ، و قرأ القرآن مرة ، و ما مضى إلى الحرام ، وما أكل درهماً و لا تكلم كلمة سوء ، لا غيبة و لا نميمة ولا سخرية ، وشعر في الصلاة بأنه قريب من الله عز وجل، وبكى في التراويح ، وشعر أنه انتقل نلة نوعية ، كان يمشي في هذا المستوى صعد و بقي مأشيا ، هذا والله في عيد ، فكنت أقول في خطبة سابقة : ليس العيد لأكل التريد - عندنا فخذ اليوم - و لا بلبس الجديد ، ولا بأكل الحلوي ، ولكن إذا نال من التقوى ما يريد ، هذا العيد ، إذا وصلت إلى الهدف فأنت في عيد ، فلذلك عيد المؤمن فرحة حقيقة ، ولو فرضنا التقيت بأناس في عيد ، في رمضان هم لم يتغيروا ، اختلاط و لقاءاتهم و لهوهم و مزحهم ، طريقتهم في الحياة ، كسبهم للمال ، و إتفاقهم للمال هو هو ، تجده في العيد يقول : فيه أمر ، صحيح فيه أمر ، شيء ممل لأنّه ، صار له ثمانون سنة و هو بعيد ، أتى بالشكلاطة و الحلويات ، فصل بنلة و استقبل الناس ، كل عام وأنتم بخير ، وكل واحد زاره رد له الزيارة ، من لم يجد يترك له كارت ، وضع الكارت ، و يا ربنا نجده ، والله شيء ممل ، فالعيد في حقيقته عملية عودة إلى الله عز وجل ، أو نجاح في امتحان، عيد الفطر و عيد الأضحى .

ما بعد العيد :

أما الشقُّ الثالث في حديثي ما بعد العيد ، والله الذي لا إله إلا هو أشعر كل عام بنشاط بعد العيد لمتابعة الطريق إلى الله عز وجل ، لأنك أنت الله عز وجل كشف لك شيئاً من جنابه في رمضان ، رفع قليلاً من الستار ، رأيت شيئاً من جماله ، هذا الجمال الذي رأيت منه طرفاً في رمضان إلا يستهويك أن تتشمر و تتطلق ، لا أعرف كيف أعتبر عن هذا ، أحياناً الطفل الصغير لا يحب الموز فرعاً ، والأب يعرف لو أنه أكل منه عضة واحدة لتعلق به تعلقاً شديداً ، يصير كالروح له ، لا يتركه علق به ، إلى أن يبلغ درجة الذوق ، فأنا لا أعتقد مسلماً صادقاً مؤمناً كاملاً يغرس شيئاً ما بعد العيد إطلاقاً ، أما هؤلاء عامة الناس فهو والله الذي لا إله إلا هو قال عنهم أحد العلماء كلمة أنا أترفع عنها ، صيام البهائم ، ترك الطعام و الشراب ، نظرات خبيثة ، أحوال شهوتهم هي هي ، ما فعل شيئاً ، فصيام البهائم شيء و صيام المؤمنين شيء شيء آخر ، و صيام خواص الخواص شيء ثالث ، هؤلاء عن الطعام و الشراب ، وهؤلاء عن المعاصي ، وهؤلاء عما سوى الله ، فأنا أشعر وما يشعره كل مؤمن له برنامج دقيق ، في صلاة الفجر كيف كان في رمضان ، كل يوم ، استمرار ، بشكل أو بآخر خط ماش ، رمضان صعد ، فتظل مأشياً إلى فوق ، ولا تنزل إلى المكان الذي كنت فيه ، ما استقدت شيئاً ، أنت الآن صعدت صعوداً نوعياً ، البطولة في الحفاظ عليها ، كثير من الناس يفتحون بلاداً وينتصرون بكسب أراضي ، فالاحتلال لا قيمة له ، أما البطولة الحفاظ على هذه الأرض المحظلة ، أو المفتوحة ، يمكن أن تحتلها و تخرج منها ، أما البطولة الحفاظ ، النصر لا

قيمة له ، أما القيمة أن تحافظ عليها ، فأنت في معركة الإنسان مع الشيطان ، إذا انتصرت على الشيطان البطولة الحفاظ على هذا النصر ، هذه البطولة ، فلذلك الذي عود نفسه أن تكون له جلة صباحية مع ربه في رمضان فليسمرة فيها ، والذي عود نفسه على أن يكون غضًّا بصره حازما جدا في رمضان فليسمرة فيه ، والذي عود نفسه تنزيه اللسان عن أي كلمة خلاف الحق ، عن كلمة غيبة واحدة ، عن كلمة سخرية واحدة ، عن كلمة سوء واحدة فليسمرة في ضبط لسانه ، ويسمرة في ضبط عينيه ، ويسمرة في ضبط أذنيه ، في رمضان إذا لم يسمع الغناء لا يسمع بعده الغناء ، هذا الذي قال :

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاق
هذا لم يصم إطلاقا ، وكل إنسان يعود إلى ما كان عليه قبل الصيام هذا كأنه ما صام ، أي كأنه فتح حنفيه على برميل ليس له قعر ، لا يمتلي البرميل ، لا قعر له إطلاقا ، إذا لم يكن له قعر محكم لا يمتلي هذا البرميل ، هكذا .

الخلاصة :

إذا ليلة القدر من جهة ، والعيد من جهة ثانية ، الفرح الحقيقي لا بانتهاء الفحص ، بل بالنجاح في الفحص ، والفقرة الثالثة ما بعد العيد يجب أن يكون استمرارا لما قبل العيد ، هكذا المؤمن ، ذكره ، إذا في رمضان قرأ القرآن عليه أن يتبع قراءته بعد رمضان ، بالعكس الشيء الذي ذاق طعمه في رمضان وأعجب بهذا الطعم عليه أن يستمر عليه بعد رمضان .

هذه بعض الملاحظات التي كنت أتمنى أن تكون بين أيديكم في هذا الدرس الأخير من رمضان ، ونحن بالنسبة قلنا أن هناك تعطيل يوم الخميس و الجمعة و السبت و الأحد ، و نستأنف الدروس إن شاء الله تعالى بعد رمضان ، الجمعة بعد المغرب دائما ، والأحد صار بعد المغرب ، مع تقديم الساعة ، و درس الخميس و السبت ، درس الخطباء و الدعاة يكون بعد أذان العشاء مباشرة ، هذان الدرسان لفترة بسيطة .

المعايير :

هناك إخوان اقترحوا علي اقتراحًا والله أعجبني تماما ، نحن في العيد نشتاق لبعضنا البعض ، وزيارة واردة ، من السنة الزيارة ، لكن الأماكن متعددة ، شيء ضمن دمشق ، و شيء خارج دمشق ، فاقتراحوا علي أن نعمل نصف يوم في العيد ، بهذا المسجد لتلقي الزيارات ، فعرضت الأمر على إخواننا فكان فيه ترحيب كبير ، نعمل ثاني يوم العيد من الساعة العاشرة وحتى أذان الظهر ، وكل أخ أراد أن يزور أخي يلتقي معه في المسجد ، عندنا قاعة فوق في المكتبة و القاعة

كبيرة ، وبلغوني أن هناك ضيافة ، قهوة و شوكولا ، ويمكن ثاني عيد يكون هناك حلويات ، لا نعرف ما الذي يحدث معنا ، هذه المرة منطلق ، فنحن نعمل معايدة في هذا المسجد ، اليوم الثاني الساعة العاشرة وحتى آذان الظهر ، فأولاً يصير أنه يركب من باص إلى باص فلا يجده ، يشعر بخيبة أمل ، والزيارات في العيد واردة ، أما نحن فجمعنا كل هذه الزيارات ، وكل هذه التقطيعات جمعناها بوقت محدد ، فانت إذا جئت إلى هذا المسجد ، تلتقي بكل إخوانك في العيد ، و تلتقي بمن تحب ، وهذا الواجب أديته من دون ما تكون هناك زيارات خلبية ، غير مجده ، هكذا الاقتراح ووجده مناسبا ، ونحن عندنا قاعدة ، عن جرير بن عبد الله قال :

((جاءَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَلُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرْرَةٍ مِنْ وَرَقِ ثُمَّ جَاءَ أَخْرَى ثُمَّ تَبَاعَوْا حَتَّى عَرَفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَّ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْفَضُّ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَّ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْفَضُّ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

[رواه مسلم]

هذه من السنة الحسنة ، لقاء في العيد ، لقاء موحد ، ما بقي من أيام العيد لك أقرباء ، ولك رحم ، الأقرباء الذين لا يباح لك أن تراهم إلا في العيد ، العيد لهم ، له حالة و له عممة ، وله بنت في طرف المدينة ، فأنت من واجبك أن تصل الرحم ، مناسبة ، أما ثلاثة أيام لإخوانك و أنت معهم طول السنة ، وأهملت رحمك فقد وقعت في خطأ ، وحدث هناك تقصير ، لك أخت غالبية عليك ، يجب أن تزورها في العيد ، ألك عممة ، و لك حالة ، و لك قريب ، و لك جد مثلا ، لك ابن ابن ، كل واحد له أقرباء ، فالعيد مناسبة مهمة جدا لصلة الرحم ، وحتى لا نعمل صلة رحم على حساب إخواننا عملنا يوم ثلاث ساعات أربع ساعات في اليوم الثاني ، حتى لو كان يوم الجمعة ، تأتي رأسا بعد ذلك على الخطبة ، و تطلع خالصا ، زيارة و خطبة .

بقي عندنا فقرة بسيطة ، هل هناك سؤال ، إذا ثانوي يوم العيد إن شاء الله من الساعة العاشرة وحتى آذان الظهر ، وأنا موجود في هذا الوقت بال تمام ، في المكتبة فوق ، عندنا قاعة مكتبة واسعة كثيرة ، وفيها كراسى ، وسيعملون لنا قهوة .

سيدنا عبادة بن الصامت :

اليوم الموضوع عن سيدنا عبادة بن الصامت ، نقيب في حزب الله القديم طبعا ، سيدنا عبادة بن الصامت يعد كونه من الأنصار هو واحد من زعماء الأنصار الذين اتخذهم النبي عليه الصلاة و السلام نقباء على أهلهم و عشيرتهم ، لا أطيل عليكم ، ولكن لفت نظري في هذه السيرة موقف

واحد تأثرت له تأثرا بالغا ، قال : ومنذ اختار - هذا الصحابي - الله ورسوله ، اختار هما على من سواهما ، وهو يقوم على أفضل وجه بتبعات هذا الاختيار ، كل ولائه لله ، كل طاعاته لله ، كل علاقاته بأقربائه وبحلفائه وأعدائه إنما يشكلها إيمانه ، هنا النقطة الدقيقة ، إنسان له ترتيب ، وله مواقف ، وله علاقات ، وله مودات ، له عداوات ، له بذل وله منع ، له لقاءات ، له قطيعة ، هذه المنظومة من العلاقات الاجتماعية قد تشكلها مصالحه ، وقد تشكلها عصبيته ، وقد تشكلها تجارتة ، له شركة مثلا ، ضد الإسلام يحبه ، يقول لك : والله ربنا منه ، يضيئه خمرا ، لا يهمه ، لكن أخي هذا فيه ربح منه ، هذا تشكيل حياته على أساس مصالحه ، هناك إنسان تشكيل حياته على أساس عصبيته إلى أسرته أو إلى عائلته ، أو إلى حيه ، أو إلى بلده ، لكن المؤمن يشكل كل علاقاته وفق إيمانه ، هذه النقطة التي أثرت في نفسي ، أنت لا تكون مؤمنا حقا إلا إذا غضبت الله ، وغضبت الله وأعطيت الله ومنعت الله ، وابتسمت الله وعبست الله ، ودفعت الله ومنعت الله ، ووصلت الله وقطعت الله ، هذا المؤمن ، إذا كنت تفعل هذا لأجل الله فأنت مؤمن ورب الكعبة ، فأنا هذه الكلمة اكتفيت بها عن هذا الصحابي ، قال : كل ولائه لله ، كل طاعاته لله ، كل علاقاته بأقربائه لله ، بحلفائه لله ، بأعدائه لله ، كل هذه العلاقات إنما يشكلها إيمانه ، أحيانا واحد مثلا يكون مؤمنا في مقبل حياته ، ويريد أن يتزوج ، وله ثلاثة شرطا ، يريدها صاحبة دين ، صائمة مصلية محجبة، من أسرة راقية ، من أسرة دينة ، هذا الجهاز من نوع ، وهذا الاختلاط من نوع ، سهرات لا توجد ، يعطيها ثلاثة شرطا ، يشكل زواجه وفق إيمانه ، يريد أن يذهب إلى النزهة مع بيت خالته وبيت عمته ، يذهب إلى النزهة ، ولكن يشكل النزهة وفق إيمانه من غير اختلاط ، كل يجلس وحده ، أراد أن يعمل حفلة عرس مثلا ، لا مانع ، يشكل الحفلة وفق إيمانه ، لا يوجد هناك من يصعد ويسور النساء ، هذه لا يعملها ، لا يقدم طيرا تمثلا ، بل يقدم مصحفا ، يشكل الكتاب وعقد وعروض وفق إيمانه ، جاءه الأولاد يربوهم وفق إيمانه ، فتح محل تجاري ، لا يوجد فيه بيع بضاعة محرمة ، أخي لحم الخنزير - مرتدلا - لا يبيعها ، سندويش طلب ، مليون سندويش ، هذه محرمة ، فتجد بيته وشراءه ، لا يبيعها في السوق و يقول : هذه رائحة نشتغل في الفيديو مثلا ، تشكل مصلحتك و مهنتك و زواجك و احتمالك و نزهتك و سهرتك ، كل هذا يشكل وفق إيمانك ، ليس عنده شغله نشار ، أنت مؤمن ، نزهتك وفق الإيمان ، ليس فيها اختلاط ، تتنقى مكانا بعيدا عن الناس ، ليس معناه إذا لم يكن اختلاط تقع في مكان مزدحم مع الكاسيات العاريات ، أخي مقهى لا يوجد ، تتنقى نزهتك وفق إيمانك ، حفلاتك ، تتنقى زوجتك ، تربى أولادك و تختر مهنتك ، الآن علاقاتك مع الناس ، الذي فيه إيمان صادق تصادقه ، والذي عنده استهزاء بالدين تعادي ، إذا لا تعادي اتركه ، هذا ليس من جنبي ، هذا من طبيعة ثانية ، لا تقيم معه علاقة حميمة ، يا ليت أن الإنسان يشكل علاقاته كلها وفق إيمانه ، حتى مزاحه ، ليس عنده مزاح خلاف الشرع ، مزاحه إسلامي ، كان النبي يمزح ولا يمزح إلا حقا .

نأتي بمثل عملي ؛ كانت عائلة عبادة مرتبطة بحلف قديم مع يهودبني قينقاع بالمدينة ، و لما هاجر النبي عليه الصلاة و السلام إلى المدينة ويهدوها يتظاهرون بمسالمته ، و لكن هذه القبائل إحدى قبائل اليهود بنى قينقاع افتعلت أسبابا ل الفتنة و للشغب على المسلمين ، انظر الآن ، و لا يكاد عبادة - عائلة عبادة علة صلات حسنة جدا مع بنى قينقاع ، هناك علاقات شخصية ، و هناك مصالح ، قال : ولا يكاد عبادة يرى موقفهم هذا حتى ينبذ إليهم عهدهم و يفسخ حلفهم و يقول : إنما أتولى الله و رسوله والمؤمنين ، فينزل القرآن الكريم محياً موقفه وولاءه ، يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

[سورة المائدۃ الآیة : ٥٦]

تحت قدمه ، ولاءه القديم تحت قدمه ، ما نشأ عليه مع أسرته تحت قدمه ، قال : هذه كلمته - إنما أتولى ، فنزل قوله تعالى :

(وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

[سورة المائدۃ الآیة : ٥٦]

سمع النبي عليه الصلاة و السلام - هنا نقطة ثانية - نحن نسمع أحاديث كثيرة عن رسول الله ، بالله الدارجة هناك أشخاص يسمع الحديث ولكن لا يغضبه كثيرا ، فهذا سيدنا سعد قال : ثلث أنا فيهن رجل ، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس ، ما سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى .

فهذا سيدنا عبادة سمع من رسول الله مرة قال عن مسؤولية الأمراء و الولاة ، عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال :

((فَضَرَبَ بَيْدَهُ عَلَى مَكْبِيِّ ثَمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْنٌ
وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخْذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))

[رواه مسلم]

قال : فزازل بهذا الحديث زلا ، وأقسم بالله ألا يكون أميرا على اثنين أبدا ، النبي بين أن هذا الأمير أو الوالي عليه حساب شديد ، عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال :

((فَضَرَبَ بَيْدَهُ عَلَى مَكْبِيِّ ثَمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْنٌ
وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخْذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))

[رواه مسلم]

هكذا قال النبي اللهم صل عليه ، فخاف أن يكون مسؤولا فحلف بالله ألا يتولى إمارة على اثنين أبدا ، لا يوجد خليفة ما حاول إقناعه بشت الوسائل ما استطاع ، سيدنا عمر بذل المستحيل لإقناعه أن يتولى منصبا ، ما رضي ، إلا منصبا واحدا ، ما هذا المنصب ؟ العلم ، إلا تعليم الناس و تفقيهم في الدين ، هذا قبله ، وهذا منصب فيه شرف كبير ، و ليس فيه دنيا ، وليس فيه ظلم ، هذا

أشرف علاقة بين إنسانين علاقة تعليم ، أشرف علاقة بين إنسان و إنسان هي علاقة التعليم ، لذلك قيل تعليم الناس و تفقيههم في الدين .

كانت له موافق جريئة من الولاة في الشام ، وهي موافق جريئة جدا ، فقال مرة عن عبادة بن الصامت قال :

((بَيَعْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَتَشَطِّ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا ثَنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ تَقُومَ أُوْنَاقُ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا تَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ))

[رواه البخاري]

والى الشام من قبل سيدنا عمر ضاق به ذرعا من انتقاده الشديد فشكى إلى سيدنا عمر ، وسيدنا عمر فهم القضية تماما فقال له : ارجع إلى مكانك فقبّ الله أرضا ليس فيها مثلك ، ولا إمرة لأحد عليك يا عبادة " أعطاه استثناء و سمح له أن يكون عينا يقطة ، ولسانا ناقدا لكل من تجاوز حدوده في الولاية .

توفي هذا الصحابي الجليل بالرمלה في أرض فلسطين تاركا في الحياة عبيره و شذاته .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا و لا تحربنا ، وأكرمنا و لا تهنا ، و آثرنا و لا تؤثر علينا ، وأرضنا و ارض عنا ، واقسم لنا من خشيتاك ما تحول به بيننا و بين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين مت تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعننا اللهم بأسماعنا وأبصارنا و قوتنا ما أحبيتنا ، واجعله الوراث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، و لا مبلغ علمنا ، و لا تسلط علينا من لا يخافك و لا يرحمنا ، وصلى الله على نبيا محمد النبي الأمي وعلى آله و صحبه و سلم ، والحمد لله رب العالمين ، الفاتحة .

والحمد لله رب العالمين